

أنا وانتِ على الطريق

هل المرأة هي السبب؟

صديقتي المستمعة العربية،

من المؤكد أنك سمعت مسبقا بالمثل العربي القائل: **وراء كل رجل عظيم امرأة**. أما المثل الفرنسي فيقول في هذا الصدد: **Cherchez la femme** ومعناه بالعربية **فتش عن المرأة** ، أي فتش فتجد المرأة وراء كل ما يحصل. ويقال أيضا في إحدى القصص، أنه بينما كان أحدهم وهو عامل يقوم بعمله في البناء في الطوابق العليا إذا به تزل قدمه و يقع من فوق إلى أسفل. وكانت النتيجة أنه مات بالطبع. ولما حققوا في الأمر وجدوا أن هناك امرأة في البناية المقابلة كان يحاول أن (يبصّبص) أي يتطلع عليها كما نقول بالعامية، وهكذا اقترب من حافة الشرفة فوقع ولقي مصرعه .فقالوا عندئذ فتشوا عن المرأة. أي أن المرأة كانت السبب وراء كل ما حدث. وفي حال حدوث أي مكروه أو مشكلة لا يزال الناس يقولون: فتشوا عن المرأة.

والآن صديقتي ماذا تعتقدين أنت شخصيا؟

تعتبر المرأة سببا مباشرا أو غير مباشر لنجاح أو فشل الرجل. هذا ما هو شائع يا سيدتي أليس كذلك؟ المرأة المرأة هي الملومة . فهناك الأم الزوجة أو الحبيبة تكون وراء حث ومساعدة الرجل وتوفير وسائل الراحة والأمان له بحيث تدفعه إلى الأمام وهناك المرأة التي تتسبب في تقهقر الرجل إلى الوراء.

وتقول إحدى الكاتبات في هذا الشأن بأن **وراء كل امرأة قوية أو ناجحة رجل أقوى**. يشجعها ويساعدها ويدفعها إلى الأمام. فالرجل القوي الناجح فقط هو الذي يستطيع أن يدفع زوجته إلى الأمام، ويشجعها أن تتقدم. أما الرجل الضعيف المهزوز الذي لا يثق في نفسه فهو الذي يخاف من نجاح المرأة إذ يخاف أن تتفوق عليه. فالناجح فقط هو الذي يساعد على النجاح. ولكن هناك من يقول أيضا إنه لا يكون أحد سببا في نجاح الآخر. أي أن كل فرد مسؤول عن تصرفاته، مسؤول عن نجاحه أو فشله . فالإنسان السوي الراشد لا يحتاج إلى أحد يدفعه إلى الأمام.

لكن ماذا عن الراحة والاستقرار في المنزل والأسرة؟ وفي الحياة الإجتماعية والعاطفية ألا يكونان سببين رئيسيين في نجاح الفرد؟

بالطبع يا سيدتي فلكي يكتمل هذا الاستقرار ولكي يكتمل النجاح يجب أن تكون هناك مساعدة من الطرف الآخر وبهذا يكون الدفع إلى الأمام. ماذا عن وقوفهما كليهما إلى جانب بعضهما البعض؟ أليست هي شريكة حياته وأم أطفاله ومربية الأجيال؟ فهي تعيش معه إلى جانبه. تساعده وتعينه وتعضده وتهتم بنجاحه وتشجعه وتؤنسه في وحدته وتدفعه لكي يتقدم ويتحسن. وعندما ينجح تحس هي بالنجاح معه. فهما ينجحان معا أليس كذلك؟

أليس عن طريق تضحياتها وتفانيها في العائلة استطاع هو أن يحصل على الاستقرار النفسي والعائلي؟ المهم أن لا ينسى أحد منهما لا الرجل ولا المرأة أن نجاحه أو نجاحها هي لهو مرتبط بوقوف الواحد منهما إلى جانب الآخر. أليس كذلك؟

إذا عدنا صديقتي وسيدتي المستمعة إلى أصل القصة من أولها نعرف عندها لماذا هذا القول الشائع عن المرأة بأنها السبب في كل علة. أو أنها وراء كل مشكلة. وبنفس الوقت نفهم من المصدر نفسه بأن المرأة هي إلى جانب الرجل العظيم أيضاً. فعندما خلق الله آدم ومن ثم حواء ووضعهما في جنة عدن أوصاهما الله بأن لا يأكلا من الشجرة التي في وسط الجنة لأنه يوم يأكلان منها يموتان. أما المرأة حواء فأغواها الشيطان وكلنا يعلم النتيجة أليس كذلك؟ أغواها الشيطان فأكلت من الشجرة وأعطت رجلها فأكل أيضاً. وعندها انفتحت أعينهما وعرفا الخير من الشر. لذلك قال الرسول بولس وهو أحد رسل المسيحية الأوائل عن حواء بأنها أغويت أولاً.

وبالطبع صارت المرأة ملومة في كل شيء لأنها السبب في إدخال الخطية إلى البشرية جمعاء. وعليه فيلومها الرجل أيضا في كل ما تفعل. هذا على صعيد الملامة.

لكن ماذا يعلمنا الكتاب المقدس نفسه أيضا عن المرأة؟ نجده يقول عن المرأة الفاضلة بأنها تاج لبعلمها. أي تاج لزوجها. والتاج يوضع على رأس الملك أو الملكة عادة. وهكذا شبه المرأة الفاضلة بالتاج على رأس زوجها. أي يفخر بها. لكن اسمعي صديقتي ماذا تنتهي الآية: أما المخزية فكخر في عظامه. أي بعكس المرأة الفاضلة الحكيمة.

وبعد ذلك نجد أن سليمان الحكيم وبوحي من الله يكتب ليقول عن المرأة الفاضلة ما يلي: امرأة فاضلة من يجدها لأن ثمنها يفوق اللآلئ. العز والبهاء لباسها وتضحك على الزمن الآتي. تفتح فمها بالحكمة وفي لسانها سنة المعروف. تراقب طرق أهل بيتها. يقوم أولادها ويطوبونها. زوجها أيضا فيمدحها. الحسن غش والجمال باطل وأما المرأة المتقية الرب فهي تمدح. ثم يقول عن زوجها بأنه معروف في الأبواب حين يجلس بين مشايخ الأرض. أي معروف ومحترم من قبل الآخرين في محيطه.

من خلال كل ما سمعت يا صديقتي ماذا تستشفين من تعليم الكتاب المقدس؟ نفهم بالطبع أن المرأة المتقية الرب هي تُمَدَح. هذا هو المفتاح لكل المقطع أليس كذلك؟ فالتقى الحقيقية التي هي مصدر كل صلاح وخير وفضل وحكمة آتية من عند الله خالقنا. فهل أنت أيضاً تتقين الله وتحفظين وصاياه؟ عندها تصبحين مثل ما وصفك سليمان الحكيم بالروح القدس مع زوجك وأفراد عائلتك. قال يسوع المسيح مرة للجموع من حوله: إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي. أي أن محبة الله والتقى الحقيقية بحاجة فيها مسؤولية. فإن كنا نحبا الله ونتقيه علينا أن نحفظ وصاياه في كتابه المقدس. هل لديك الكتاب المقدس صديقتي؟

فالتقى الحقيقية ليست للمرأة فقط بل هي للرجل أيضاً. وعليه تكون الأسرة كلها تتقى الله وتحفظ وصاياه. وعندها يطبق أيضاً الرجل مسؤوليته تجاه زوجته لكي يحبها كما أحب الفادي المسيح الكنيسة أي جماعة المؤمنين به أولاده. محبة كلها تضحية وبذل وعطاء. عندها يعملان معا جنبا الى جنب في إيصال العائلة إلى شاطئ السلام.

جنبا إلى جنب هو يحبها ويشجعها ويحميها ويهتم بها، وهي كذلك تعضده وتعينه وتساعدته وتشجعه. فهل هناك أعلى وأجمل من هكذا عائلة؟ والمفتاح هو أن يتقى الإنسان الله الحقيقي. والتقى يأتي عن طريق الحصول على الغفران الكامل لخطايانا والإيمان بالفادي المسيح الذي منحنا الخلاص من عقاب الخطية. فهل نتقى الله حقاً؟ رجالاً ونساءً؟
